

خطاب الكراهية يتسلل إلى الحياة العامة في أمريكا

2016-11-09 وكالات

(رويترز) - بخط غير متقن وبطلاء أسود كانت الحروف مرشوشة بطلاء على الممر المواجه لبيت كارين بيترز الأنيق في هذا الحي الهادئ من أحياء الطبقة العاملة حيث قضت معظم سنوات عمرها. لكن لهجة الاحتقار كانت جلية، "ك ك ك أيتها الساقطة" في إشارة إلى جماعة كوكلوكس كلان العنصرية.

ظهرت تلك العبارة في منتصف أكتوبر تشرين الأول على سيارات وبيوت وأكشاك الهاتف في مدينة كوكومو الصغيرة بولاية انديانا. وكان كثير من الضحايا من أمثال بيترز أمريكيين من أصول أفريقية رغم أن بعضهم ينتمي لأصول أخرى.

وكان كثيرون منهم يرفعون أمام بيوتهم لافتات تأييد للمرشحين الديمقراطيين في الانتخابات التي تجري وقد غطت الحروف الأولى لجماعة كوكلوكس كلان تلك اللافتات في العديد من البيوت، وقالت بيترز "أعتقد أنها مسألة سياسية والأمور بدأت تفلت من عقابها." وهي تعتقد أن سخونة حملة الانتخابات الرئاسية لاسيما ما يستخدمه المرشح الجمهوري دونالد ترامب من خطاب عدائي عنصري قد شجع المتطرفين، وأضافت "عندما يكون لديك (مرشحون) ينطقون بالجهل فربما يعتقد آخرون أن من الطبيعي أن تفعل تلك الأمور وهذا أمر محزن جدا... يبدو أن بلدنا يتقهقر للوراء"، وليس لدى الشرطة فكرة عمن وراء هذه الهجمات. ويعتقد الديمقراطيون ومنهم رئيس البلدية ومسؤولون محليون في الحزب أن الدوافع سياسية. أما الجمهوريون في المدينة فيبدون تشككا في هذا الأمر ويشيرون إلى أن هذه الاعتداءات من عمل مهيجين جهلة لا مكان لهم في الحزب، وفي مختلف أنحاء الولايات المتحدة بدأت لهجة التحريض والنزوع للمواجهة في الخطاب السياسي تتسرب إلى لغة الخطاب العام وتعمل على استقطاب الناخبين، ومن الصعب تحديد مدى انتشار هذا الاتجاه فلا توجد بيانات على مستوى البلاد لتتبع الجرائم ذات الدوافع السياسية أو الخطاب التحريضي.

ومع ذلك فقد أظهرت استطلاعات للرأي أجراها مركز بيو للأبحاث الذي لا تربطه صلات بأي أحزاب أن نسبة الناخبين الذي يعتقدون أن إهانة الخصوم السياسيين "أمر معقول في بعض الأحيان" ارتفعت خلال موسم حملات الدعاية الانتخابية من 30 في المئة إلى 43 في المئة في أكتوبر تشرين الأول الماضي.

ولدى أغلبية من الناخبين من الحزبين الجمهوري والديمقراطي آراء "سلبية جدا" في الحزب الآخر - وهو ما يحدث للمرة الأولى منذ بدأ مركز بيو طرح هذا السؤال على الناخبين في عام 1992 - كما أن الثقة في الحكومة اقتربت من أدنى مستوياتها.

وقال برايان ليفن مدير مركز دراسة الكراهية والتطرف بجامعة ولاية كاليفورنيا "هذه المؤشرات تعكس توترات فيما بين الجماعات يمكن أن تترجم إلى أي شيء من لغة الحوار الخشنة إلى مستويات منخفضة من الاعتداءات وإلى أفعال متطرفة"، ورغم أن جانبا كبيرا من الضغينة موجه إلى المهاجرين والأمريكيين من أصل افريقي وغيرهم من الجماعات المنحازة بطبيعة الأمر إلى هيلاري كلينتون مرشحة الحزب الديمقراطي للرئاسة فقد واجه جمهوريون انتقادات بعبارات لاذعة وعداوة، وقد تركز جانب كبير من النقاش حول التطرف على حركة ألت-رايت الفضاضة المؤلفة من قوميين من البيض ومعادين للسامية ومناهضين للهجرة وهي حملة انحازت لحملة ترامب، ودب النشاط في هذه الحركة بفعل تعهدات ترامب ببناء جدار على الحدود المكسيكية وترحيل ملايين المهاجرين غير الشرعيين وتشديد الرقابة على المسلمين بحثا عما يربطهم بالإرهاب، وقال مايكل هيل المؤمن بتفوق الجنس الأبيض والمعادي للسامية والمصاب برهاب الأجانب إن تلك النبوة في لغة الخطاب ساهمت في إضفاء الشرعية على الهواجس التي تقوم عليها حركة ألت-رايت من تآكل للأغلبية المسيحية من البيض، ويرأس هيل رابطة الجنوب وهي جماعة من "القوميين الجنوبيين" مكرسة للعمل من أجل إقامة "أرض الرجل الأبيض" المستقلة، وقال هيل "المناخ السياسي العام المحيط بحملته كان مثمرا للغاية ليس لنا وحدنا فحسب بل لجماعات يمينية أخرى".

وقد هزت تيارات قومية مماثلة دولا أخرى من روسيا إلى اليابان وبريطانيا. وفي الصيف الماضي وأثناء احتدام النقاش حول انسحاب بريطانيا من الاتحاد الأوروبي قتلت النائبة البريطانية جو كوكس المؤيدة للبقاء في الاتحاد رميا بالرصاص وطعنا في أحد الشوارع. وهتف توماس ماير المتهم

بمهاجمتها "الموت للخونة والحرية لبريطانيا".

وفي الولايات المتحدة تتزايد التقارير عن تنامي مظاهر العداء السياسي وأعمال التخريب والعنف، وفي ولاية مسيسيبي تعرضت كنيسة للسود للحرق وكتب عليها بالطلاء "صوتوا لترامب". وفي نورث كارولينا أشعل مجهولون النار في مكتب للحزب الجمهوري الشهر الماضي وكتبوا بالطلاء على مبنى قريب "غادروا البلدة أيها الجمهوريون النازيون". وفي أوهايو ألقيت حمولة شاحنة من الروث على مكتب لحملة الحزب الديمقراطي الانتخابية. وفي ويسكونسن ارتدى أحد مشجعي الكرة في مباراة جامعية قناعا لوجه الرئيس باراك أوباما وربط حبل مشنقة حول عنقه، ولم يرد المسؤولون عن الحملة الانتخابية لكل من ترامب وكلينتون على طلبات للتعليق.

التطرف يتحول إلى اتجاه عام

وقال جاريد تيلور أحد القوميين البيض الذي يلقي موقعه الإلكتروني أمريكيان رينيسانس (النهضة الأمريكية) رواجاً لدى حركة آلت-رايت إن مواقف ترامب تتفق مع هدف الحركة المتمثل في "إبطاء تجريد البيض". غير أن تيلور يقول إن وسائل الإعلام تبالغ في التركيز على ما يلقاه من دعم داخل الحركة "في محاولة لتشويه سمعته".

وقد تعرض ترامب لانتقادات من جانب الديمقراطيين وبعض الجمهوريين لبطئه في إدانة العناصر الأكثر تطرفاً في تيار اليمين على الساحة السياسية. غير أنه عندما نشرت صحيفة بارزة مؤيدة لجماعة كوكلوكس كلان تقريراً مؤيداً لترامب على صفحاتها الأولى الأسبوع الماضي سارعت حملته الانتخابية إلى إصدار بيان يرفض المقال "المقزز".

ويقول تيلور وهيل وغيرهم من الشخصيات البارزة في حركة آلت-رايت إنهم لا ينادون بالأفعال التخريبية أو العنف ولا يغضون الطرف عنها. وهم يرفضون فكرة أن لغة خطابهم تنطوي على كراهية ويقولون أن افتراءات اليسار عليهم أكثر مدعاة للكراهية.

وقالت هايدي بايريتش من مركز ساذرن بافرتي لو الذي يتابع الحركات المتطرفة إن للمتطرفين

اليساريين تاريخاً من النزوع للمواجهات العدوانية مع من يرون أنهم أشخاص أو جماعات فاشية أو عنصرية. وتضيف "العنف من جانب المناهضين للعنصرية يكون في العادة أكبر منه من العنصريين أنفسهم".

وتمنح بنود حرية التعبير في التعديل الأول للدستور الأمريكي ضمانات واسعة للغة الخطاب التحريضي. غير أن القوانين على مستوى الولايات والمستوى الاتحادي تمنح مؤسسات إنفاذ القانون سلطة التحقيق والمقاضاة في جرائم "الكراهية" التي يكون الدافع فيها هو الانحياز للجنس أو العرق أو الدين أو للإعاقة أو للتوجه الجنسي، ولم تُظهر زيادة بنسبة ستة في المئة في جرائم الكراهية وثقها الباحثون في جامعة ولاية كاليفورنيا العام الماضي تغيراً أساسياً يذكر نسبياً في الاعتداءات على أغلب جماعات الأقلية. غير أن الاعتداءات على المسلمين زادت بنسبة 86 في المئة، ويعتقد بعض دارسي الأوضاع في الساحة السياسية والعاملين فيها أنه حدث تآكل عام في الكياسة بدأ قبل فترة طويلة من بداية السباق الانتخابي الحالي.

ويقول كريج دن رئيس الحزب الجمهوري في مقاطعة هاوارد كاونتي بولاية إنديانا والتي تضم مدينة كوكومو إن أقلية من الأصوات المتطرفة لقيت تضخيماً عبر الانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي وهو ما يغذي "انهياراً عاماً في الكياسة"، ويشعر مسؤولون محليون بالقلق من تأثير ذلك على التجمعات السكانية المحلية، وقال جريج جودنايت رئيس بلدية كوكومو وهو ديمقراطي "المناخ العام أكثر تقلباً والتوترات أكثر". وأضاف أن الاعتداءات بكتابة العبارات على الجدران مقلقة جداً "ولا أذكر أن شيئاً مثل هذا حدث هنا من قبل".